

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١٠)

علي رضا بناهيان



PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١٤٤١
المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق (ع)
الموضوع: الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١٠)
التاريخ: ٢ / محرم / ١٤٤١ - ٢ / ٩ / ٢٠١٩

المبدأ الثالث في الإدارة هو "العقلانية والشمولية" / الإدارة الثورية تعني السعي لتحقيق مصالح البلاد من خلال العقلانية/ هل تحققت مصالحنا من خلال الإتفاق النووي؟/ المسؤول الذي يقيم الدنيا ولا يقعداها من أجل إلغاء حفل موسيقي أكثر من حزنه على إغلاق المصانع هل يُعد عاقلاً؟

الاتصاف بالثورية يعني التعقل، لا يقولنّ أحد فينا نحن الثوريين: "هؤلاء كوادر مبدئية!" كلا! نحن بالمناسبة نريد أن يكون التعامل مع جميع القضايا بعقلانية. قال سماحة السيد القائد(حفظه الله): "إن التطبيع مكلف والمقاومة أيضاً مكلفة، لكن ثمن التطبيع أعلى من ثمن المقاومة". هذا الرأي عقلائي تماماً ولا يعد مبدئياً!

معظم التوتّرات والجدالات السياسية في بلادنا تافهة وينبغي أن تُلغى

معظم التوتّرات والجدالات السياسية في بلادنا تافهة أساساً ومن دون جدوى وعلينا أن نلغيها، لكن كيف؟ سأقدم لكم هنا حلاً لهذه القضية، ويمكن ملاحظة هذا الحل أيضاً في كلمة السيد القائد في لقائه مع طلبة الجامعات في شهر رمضان المبارك لهذا العام. (خطاب القائد في اللقاء مع طلاب الجامعات، ٢٢/٥/٢٠١٩) استخدم سماحة السيد القائد يوماً ما مصطلح «حُرّ الإطلاق» في ما يتعلق بنشاطات الشباب التطوّعية في الساحة الثقافية. وفي «بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلامية» أكّد سماحته مرة أخرى على الشباب، ثم طرح موضوع «الحكومة الثورية الفتية». وبغض النظر عما جاء أعلاه فقد خلق سماحته مناخاً جديداً؛ أي إنه قدّم، في شرحه لبيان الخطوة الثانية، حوالي سبع استراتيجيات لإعمار البلاد، جميعها تتجاوز الدهاليز السياسية والهيكل الإداري للبلاد، وهذا يعني أنّ على الشباب أن ينزلوا إلى الساحة ويحلّوا المشاكل والمعضلات من خلال الإمكانيات الاجتماعية والقانونية المتاحة. إذا تم تنفيذ مقترحات سماحة السيد القائد ستنتهي الكثير من هذه الجدالات السياسية التافهة وعديمة الجدوى، وسيتم تلقائياً تصفية الكثير من الأشخاص الذين تسنّموا المناصب والمسؤوليات عن طريق التعيين أو الانتخاب، ولا حاجة بعد ذلك لإسداء النصائح الأخلاقية لهم!

ينبغي أن تتخذ الإدارة موقعها التقني التخصصي

وبعد أن أشار السيد القائد(حفظه الله) إلى سبع استراتيجيات لإعمار البلاد وتشبيد الحضارة الإسلامية الكبرى، استطرد سماحته قائلاً: «يمكن تقديم خمسين استراتيجية أخرى على هذا المنوال» (الخطابات، ٢٢/٥/٢٠١٩). والنتيجة المهمة التي ستتحقق عند تنفيذ هذه الاستراتيجيات هي أن الإدارة ستحتل موقعها التقني المخصّص لها، لأن الكثير من المناصب الإدارية هي تقنية وتخصّصية تماماً، وليست سياسية! بعبارة أخرى: يجب أن تتقن أداء هذا العمل الذي عُيّنَ له.

وإذا قمنا بتنفيذ هذه الاستراتيجيات فلن يهمنّا بعد ذلك أبداً من سيكون الحاكم؟ ومن سيكون المحافظ؟ ومن سيكون نائب البرلمان وما هو خطّه السياسي؟ ولن يهمنّا بعد ذلك حتى من سيكون إمام الجمعة. لأن هؤلاء جميعاً سيكونون في إطار خدمة الشعب ولا مفرّ لهم من ذلك. كما يجب علينا أيضاً أن نوجه القوانين واللوائح بالأساس باتجاه تقليل احتمال سوء الاستغلال؛ أي أن تعمل هذه اللوائح والتعليمات تلقائياً على رفع مستوى التشديد على المسؤولين. ومن الاقتراحات التي اقترحها سماحة السيد القائد (حفظه الله) مثلاً هي أن يؤسس الشباب فريق عمل، ناشطة في المجالات الجهادية والثقافية والسياسية. وبالطبع ليس القصد من النشاطات السياسية تلك التي تكون في إطار الحزب والتيار، بل النشاطات السياسية المستقلة التي تقود إلى تحسين الوضع الإداي. كما ينبغي أن يؤسس الشباب فريق مطالبة [للمسؤولين] ومتابعة لمطالبات الشعب... ليدرّس الشباب - ولا سيما الشباب المثقف والخريج - هذه الاستراتيجيات التي قدّمها سماحة السيد القائد، وليقترحوا لحل مشاكل البلاد مشاريع وخطط، وليعرضوها على شبكات التواصل قائلين: «هذه الخطة تحل المشكلة الفلانية في البلد...». حينذاك سيضطر المسؤولون إلى الاستجابة.

بوسع الشباب أن ينشط في إدارة البلاد بناء على بيان "الخطوة الثانية للثورة الإسلامية"

بناء على ما جاء في بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلامية - والشرح الذي قدّمه سماحة السيد القائد على هذا البيان - بوسع الشباب أن ينشط في إدارة البلاد؛ تماماً كالحملة التي انطلقت للمطالبة بالشفافية، فإن استمر الشباب بدعم هذه الحملة، سيُجبر البرلمان على التصويت على هذا القانون، وستتضح شيئاً فشيئاً أسباب الإصرار على سرّية أصوات النواب، وسيفهم الناس ماذا كانت القضية؟ فما الذي يضره نواب البرلمان يا ترى حتى تبقى أصواتهم متكّمة عليها حالياً؟ إذا تحققت المطالبات والمتابعات سيكون بوسعكم أتم الشباب، وبالاعتماد على بيان الخطوة الثانية للثورة، أن تمارسوا نشاطات عديدة؛ وأنذاك سيضطر كل من يتولّى المسؤولية أن يهتم بهذا الرأي العام المنظم، وهذه الأفكار التي يتبنّاها الشباب الواعي والمثقف. فهل من الممكن أن يجتمع الشباب في مدينة ما ويستفيدوا من آراء المُخضرمين فيها، ويتوصلوا إلى وضع خطة، ثم لا يرضخ حاكم المدينة ونائب البرلمان وإمام الجمعة لهذه الخطة؟ إن هؤلاء المسؤولين، بغض النظر عن اتجاههم الحزبي والتيار السياسي الذي ينتمون إليه، مُجبرون على قبول هذه الخطط والمشاريع الجيدة. ولقد تجاوز المجتمع اليوم هذه الألاعيب التّيارية والحزبيّة، كما أن قائد الثورة (حفظه الله) صرّح في بياناته أنه لا يعتمد على التيارات السياسية. بطبيعة الحال سماحته ينبّه المسؤولين، ويوصيهم، ويطلبهم بأداء مسؤولياتهم المخوّلة إليهم، لكن الاعتماد الحقيقي يكون على الشباب!

ينبغي على الشباب أن يجتمعوا بطريقة منظمة وأن يبذلوا جهودهم لإدارة المجتمع

ينبغي عليكم أنتم الشباب، مع هذه الإمكانيات والمجال المتاح لكم، من إنترنت ومواقع تواصل اجتماعي، وهذا التواصل المتوفر لكم اليوم أن لا تقضوا أوقاتكم بالاستهزاء بالمسؤولين وطعنهم، والاكتفاء بالمطالبات في الأجواء الافتراضية؛ بل تعالوا والتفوا حول بعضكم البعض بتنظيم، ولتحسّوا أن إدارة المدينة هي من مسؤوليتكم. قدّموا العديد من الخطط التي تتميز بالأولوية والأسبقية، وسيهتم المسؤولون آنذاك بهذه الخطط وسينفذونها قبل غيرها. فإن العديد من هؤلاء المسؤولين القدامى كانت أعمارهم أقل منكم حينما تولّوا مسؤولية إدارة البلاد. واليوم أيضاً ثمة في المدن المختلفة شباب أكفاء بوسعهم أن يقوموا بهذه الأعمال، وهذا هو الطريق الذي مهّد له قائد الثورة حفظه الله؛ فسماحته لا يرى أن إعمار البلاد منحصر بالمناصب الحكومية والبرلمانية أبداً، وقد صرّح بهذا الموضوع في كلمته، ومن ثم قدّم استراتيجية جزئية لذلك، وسلّط الضوء عليها أيضاً في بيان الخطوة الثانية للثورة. وحتى قبل صدور بيان الخطوة الثانية، كان سماحة السيد القائد قد قال في خطباته أن سيادة الشعب الدينية لا تتحقق بمجرد ذهاب الجماهير إلى صناديق الاقتراع والمشاركة في الانتخابات، بل ينبغي أن ينشط الناس في جميع المجالات. كما أن سماحته قدّم مثلاً عن هذا النشاط وهو أن يشارك الشعب في النشاطات الاقتصادية، فتصبح هذه المشاركة: «سيادة الشعب الدينية في مجال الاقتصاد». (كلمة السيد القائد في لقائه مع قوات التعبئة (البيسج)، ٢٣/١١/٢٠١٦)

كيف يستطيع الشباب المشاركة في اقتصاد البلد وإدارته؟

والآن ما هو السبيل لمشاركة الشباب في اقتصاد البلد وإدارته؟ الجواب هو أنه ينبغي عليهم أن يجتمعوا معاً. فإن اجتمع الشباب معاً وأسسوا في البلاد شبكة تواصل بينهم، وباتوا على اطلاع على أخبار بعضهم البعض، كان بوسعهم القيام بأعمال كثيرة. على سبيل المثال، اجتمعت ثلة من الشباب في جزيرة هرمز، واستطاعت القضاء على الفقر في تلك المنطقة، دون أن تمتلك رأسمال في بداية الأمر! كل ما في الأمر أنهم عقدوا العزم معاً، واستخدموا البرمجيّات، واعتمدوا على إبداعاتهم. بوسع الشباب، إن اجتمعوا مع بعضهم البعض، القضاء على الكثير من المشاكل السياسية الموجودة في بلادنا. فالكثير من نواب البرلمان والمسؤولين هم من ذوي الأبواب والصّلحاء، وهم مستعدون أن يصغوا بتواضع إلى المشاريع التي يقدّمها الشباب المثقف والأشخاص المشفقين، وأن يدرسوها وينفذوها. على سبيل المثال عند ما طرّح موضوع شفافية أصوات نواب البرلمان، قال بعض الأخيرين: نحن مستعدون لوضع أصواتنا بشفافية على المواقع الإلكترونية ليطلع عليها الجميع.

خطة مقترحة: إن انقطعت رواتب العمّال فليقتطعوا من رواتب المسؤولين لصالح العمّال

وكنموذج، أنا أقترح خطة قد تساعد في حل مشكلة بعض العمّال:

للحيلولة دون ظهور مشاكل للعمّال في بعض المناطق (التي قد تكون الحكومة مقصّرة فيها نوعاً ما، أو غير مقصّرة لكن عليها متابعة القضية وحل المشكلة) أقترح تصميم منظومة تسجّل فيها رواتب جميع المحافظين والحكّام ونوّاب البرلمان والوزراء والمعاونين والمناصب الإدارية الأدنى - إلى أدنى مستوى ممكن - فإن لم يستلم عمّال منجم ما - مثلاً - رواتبهم لشهر واحد، يُصار في الشهر التالي آلياً إلى سحب رواتب المسؤولين وكبار المديرين أن رواتبهم قد انقطعت سيدركون أن ثمة مشكلة ما قد حصلت، وبطبيعة الحال سيبدلون قسارى جهدهم لإزالتها. وبعد أن يحلّوا مشكلة العمّال ستتحل مشكلة رواتبهم أيضاً. فأى إشكال سيطرأ يا ترى لو انقطع راتب المحافظ أو نائب البرلمان؟ لنفرض مثلاً أنه لم يستلم راتبه الشهري في الموعد المقرّر، وكان ابنه راقداً في المستشفى، فإن هذا المسؤول لديه - على أية حال - شيء من الواجهة ويستطيع أن يحل مشكلته، لكن لو كان ابن عامل المنجم في المستشفى ولم يستلم هذا العامل راتبه الشهري فسيواجه مشكلة كبيرة. هناك العديد من هذه الآليات للسيطرة على الأمور وخلق الدوافع وفرض النظام، والتي إن تم تنفيذها لن تبلغ الأمور مرحلة صراخ العامل ومحاولته شكوى ظلامته إلى السلطة القضائية! ولن يحتاج هذا العامل أصلاً إلى أن يرفع صوته صارخاً لإحقاق حقّه! فإن تأخّر راتبه لشهر واحد سيكون مرتاح البال، لأنه سيحدّث نفسه أن: «في الشهر القادم سيقطعون من رواتب المسؤولين ويدفعون رواتبنا». فإن فُعِّلَت أمثال هذه الآليات في بلادنا فلن يرشّح أي شخص غير مؤهّل - لا يحب شعبه - لنيابة البرلمان أو لتسّم مسؤولية! وحتى إن أراد هو ذلك فلن تسمح له أسرته! لا بد أن يكون المسؤول محباً للناس، بحيث لو قطعوا راتبه وسددوا به مستحقات العمّال المتأخرة، يقول من صميم قلبه: «هنياً لهم!»

لا يجوز أن يدفع الشعبُ ثمنَ الإدارة السيئة وعدم كفاءة المسؤولين!

لو تمّ تنفيذ أمثال هذه الآليات والخطط، سيخفّ العبء على كاهل مجلس صيانة الدستور أيضاً، وستقل مهامه بوضوح في أيام الانتخابات؛ فلن يُقدّم كل مَنْ هَبَّ ودَبَّ على ترشيح نفسه، لأنه سيرى أنّ قبول المسؤولية في واقع الأمر صعب جداً.

يُمكن اقتراح العديد من هذه المشاريع أو الخُطط؛ على سبيل المثال، أن يكون المسؤُولون أنفسهم هم الضمان لبعض الاستراتيجيات والحلول التي يقدمونها للبلد، فإن فشلوا في تنفيذها وتكبّد البلد خسائر مالية، فإن عليهم تعويض هذه الخسارة؛ كأن يبيعوا ما يملكون وأقاربهم من منازل وعقارات لتعويض خسارة الشعب. فلا ينبغي أن يدفع الشعب دائماً ثمن الإدارة السيئة وعدم كفاءة المسؤولين وتجاربهم الفاشلة! ألم تخطّطوا للدولار مثلاً، فلماذا باتت أسعاره فجأة ترتفع وتنخفض إلى هذه الدرجة؟! حسناً، فلتعوّضوا أنتم الشعب عن الخسارة التي تكبدها! ومن خلال تنفيذ عدد من هذه المشاريع والآليات، سيُختم ملف أبناء «السادة!» المسؤولين أيضاً، فلن يسمح هؤلاء الأبناء الكسالى والأرستقراطيين لأبائهم أن يتولّوا المناصب، فهم يعلمون أنهم بذلك سيُحرّمون من الكثير من الامتيازات!

يمكن تنفيذ الخطط الجيدة في البلاد من خلال ضغط الرأي العام المنظم

يمكن تنفيذ هذه الخطط وتنشيطها في البلاد من خلال دراسة تخصصية وممارسة الضغوط من جانب الرأي العام المنظم. وبالطبع لا يعني ذلك أن تقوم الأحزاب والجرائد الحزبية والتابعة للتيارات السياسية بزيادة هذا الأمر؛ فلا ينبغي تفويض السياسة لعدد من أساتذة الحرب النفسية! ولا ينبغي أن تكون الأوضاع بشكل يُهدّد لكل فرد يتقن الحرب النفسية خوض ميدان السياسة! فمشاكل البلد - بالمناسبة - قد زادت منذ أن دخل بعض أساتذة الحرب النفسية الساحة السياسية. أنا متفائل حقاً بمستقبل بلادنا. فقد بين السيد القائد حفظه الله الحلول لتذليل الصعاب، واقترح سماحته بأمل راسخ حوالي سبع استراتيجيات لذلك. والكثير من هذه الاستراتيجيات قابلة للتنفيذ بيد الشباب من دون تدخّل الحكومة والبرلمان! الطريق مفتوح أمامنا ولا ينبغي أن نتعب من العمل الدؤوب. كما يجب أن نضع أعضاء الحكومة والمسؤولين ضمن إطار آليات تجعلهم حقاً في خدمة الشعب، ويعملون على حل مشاكله.

الإمام الصادق(ع) لأصحابه: لو كان الحكم بأيدينا لكان عليكم العمل ليل نهار، والزهد في المأكل

«عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) بِالطَّوَّافِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا مُفَضَّلُ مَا لِي أَرَاكَ مَهْمُومًا مُتَعَيِّرَ اللَّوْنِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ نَظَرِي إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ هَذَا الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْجَبْرُوتِ؛ فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَكُمْ لَكُنَّا فِيهِ مَعَكُمْ» (الغيبة للنعماني / ص ٢٨٧).

«فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِيَّاسَةً اللَّيْلِ وَسَبَاحَةَ النَّهَارِ وَأَكُلُ الْجَشِبِ وَلُبْسُ الْحَشَنِ شِبْهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، وَإِلَّا فَالنَّارُ...». أي لو كان الحكم بيدي لكان عليك أن تسهر الليل حتى الصباح لنخبط معاً، وأن تعمل طيلة النهار حتى الليل، وتأكل الخبز اليابس (الطعام البسيط) وتلبس الخشن من الثياب، كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع)، وإلا فمثواك النار... يقول الإمام (ع): لو كان الحكم بيدي لتوجب عليك أن تعيش هذا النمط من الحياة، وإلا ستكون عاقبتك إلى نار جهنم. فانظروا اليوم كم من مسؤولينا ستكون النار مثواهم؟ يرى البعض هذه القضايا مجرد دعاية! ثم قال الإمام (ع): «فَرُؤِي ذَلِكَ عَنَّا فَصِرْنَا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ». إننا نمضي في طريق سينتهي بالظهور، فليُسارع المسؤولون إلى تغيير أنفسهم وإلا فسيتغيرون تلقائياً!

على المسؤولين أن يحبوا الجماهير، وأن يتجلى هذا الحب في تعاملهم

لحد الآن شرحنا مبادئ من مبادئ الإدارة. المبدأ الأول هو الكرامة والعزّة، والثاني هو الحب والوفاق. وينبغي أن يكون هذا الحب متبادلاً؛ أي حب الناس للمسؤول، وحب المسؤول للناس. وأشرنا إلى «زيارة الأربعين» كنموذج لهذا الحب والوفاق؛ أي الموقف الذي يؤثر الناس فيه بعضهم على بعض من شدة المحبة. على المسؤولين والمديرين عندنا أن يخلقوا الحب والوفاق. ينبغي أن يكون المسؤول محباً للناس، وأن يتجلى هذا الحب في تعامله وسلوكه. كان لدينا مسؤولون في غاية الصلاح اقترح عليهم حين مرضوا السفر إلى خارج البلاد للعلاج فرفضوا ذلك. على أن قصصاً أجمل من هذه بكثير نُقلت عن بعض مسؤولينا أيضاً، وعلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون أن تنشرها. لكنه حينما يروج التلفزيون للسلوك السليم لبعض المسؤولين في مسلسلٍ ما يحتاج البعض على ذلك قائلاً: «لماذا تعرضون هذه الأمور؟» لأن عرضها يفضح المسؤول السيئ أمام الشعب. إن حبّ الناس للمسؤولين، وحب المسؤولين للناس هو مبدأ فريد في نوعه. المفكّرون الغربيون يرون أن هذا الأمر مستحيل، لكننا نقول إنه ممكن، وسنطبق ذلك على أرض الواقع؛ وقد شاهدنا نموذجاً لذلك في حرب دفاعنا المقدس؛ حيث كان المجاهدون يحبون قادتهم حباً حقيقياً!

المبدأ الثالث في الإدارة هو "العقلانية والشمولية" / يجب أن يكون المسؤول عقلانياً وشمولياً

المبدأ الثالث في الإدارة هو «العقلانية والشمولية». يجب أن يتمتع المسؤول بالعقل الراجح والرؤية الشاملة! وتكمن الروح الثورية كلها في هذا المبدأ بالذات! إلى أي مدى يهتم العقل؟ على سبيل المثال لاحظوا مدى أهمية العقل في الحياة الفردية. جاء في الرواية الشريفة: «إِنَّمَا يُدْرِكُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِالْعَقْلِ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ» (تحف العقول/ ص ٥٤). وعن أمير المؤمنين (ع): «عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ يَكُونُ الدِّينُ» (غرر الحكم/ ٦١٨٣).

الثورية تعني العقلانية والعمل لمصالح البلد

لا يقولنَّ أحد فينا يوماً: «هؤلاء كوادر مبدئية!» كلا، نحن الثوريين - بالمناسبة - نطالب بأن يتم التعامل مع جميع القضايا بعقلانية. فلطالما نبّه سماحة السيد القائد إلى أن: التطبيق مكلف، والمقاومة أيضاً مكلفة، لكن ثمن التطبيق أعلى من ثمن المقاومة. هذا الرأي عقلائي تماماً ولا يُعد مبدئياً! على سبيل المثال نحن تمكنا من تعزيز قدراتنا في المنطقة نتيجة مقاومتنا بتكلفة أقل بكثير مما دفعته السعودية. لا تتصوروا أنه ثمة في البلد فئة ثورية تحب المقاومة والصمود، وهناك فئة أخرى تقول: «يجب أن نرى أي الأمور توفّر لنا مصالحنا؟» إن الثورية - بالمناسبة - تعني أن نلاحظ بدقة أي الأمور تحقّق مصالحنا، فنتحرك بهذا الاتجاه بالذات.

الإيمان ثمرة العقلانية والعلم

لنقرأ رواية أخرى عن العقلانية في الحياة الشخصية: روي عن أمير المؤمنين(ع): «أَعْقَلُ النَّاسِ أَنْظَرُهُمْ فِي الْعَوَاقِبِ» (غرر الحكم/٣٣٦٧). فالذين يتفكّرون في المعاد أعقل من غيرهم. وعادة ما يقال عن الذي يفكّر في المعاد والآخرة: إنه «متدين ومؤمن ومعتقد جداً» بينما يجب أن نقول بحسب هذه الرواية إنه أعقل، (فإن كان عقله هو السبب في تفكيره في عاقبته فهو إذاً عاقل جداً). لقد تُرجم «الإيمان» لبعض الأشخاص ترجمة خاطئة للأسف، فالإيمان هو في الحقيقة ثمرة العقلانية والعلم. كانوا يقولون سابقاً: «إن الإيمان والعلم جناحان...»، أو: «الإيمان والعقل جناحان..»، لكن لا ينبغي أن نجعلهما في موازاة بعضهما البعض، بل يجب أن نقول: إن الإيمان ثمرة العلم والعقل. إن تصوّر البعض عن الإيمان هو ذلك الإيمان المعروف في القرون المسيحية الوسطى، وبهذا التصور يمكن أن يصنّف الموضوع الخرافي إيماناً أيضاً! لكننا نرى الإيمان نتيجة العقل.

رواية عن العقلانية في إدارة الأسرة

تحدثنا قليلاً عن العقلانية في الحياة الفردية، والآن نتحدث عن العقلانية في الأسرة، ولدينا روايات عديدة حول الالتزام بالعقل في الحياة الأسرية. على سبيل المثال، روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال للإمام الحسن(ع) في كتاب له: «إِيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْغَيْرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَالتَّبْرِيئَةَ إِلَى الرِّيْبِ» (الكافي/ج٥/ص٥٣٧). فالغيرة في غير محلها لها آثار سيئة. ثم يتابع(ع): «وَلَكِنْ أَحْكِمْ أَمْرَهُنَّ فَإِنَّ رَأْيَتَ عَيْبَاءَ فَعَجَلِ النَّكِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاتِبَ فَيَعْظُمُ الذَّنْبُ وَيَهْوَنُ الْعَنْبُ الْخَبَرُ»؛ أي: إن رأيت منكراً فاستنكره وتصدى له، لكن لا تتشدد إن كان هذا المنكر غير مؤكّد.

بعض الأمهات يلوم الأولاد كثيراً، هذا وقد أوصي بعدم ملامة الطفل في الأسرة لأن هذا يجعله عنيداً.

بحسب الرواية، يجب أن يتّصف الرجل بثلاث سمات لإدارة المنزل:

وفيما يتعلق بمبادئ الإدارة على مستوى الأسرة والسمات الضرورية لها، فقد جاء في الرواية الشريفة: «إِنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ فِي مَنْزِلِهِ وَعِيَالِهِ إِلَى ثَلَاثِ خِلالٍ يَتَكَلَّفُهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ ذَلِكَ: مُعَاشِرَةً جَمِيلَةً، وَسَعَةً بِتَقْدِيرٍ، وَعَيْرَةً بِتَخَصُّنٍ» (تحف العقول/ ص ٣٢٢). فينبغي للرجل أن يتحلّى بهذه الخصال الثلاث، ويمارس إدارة منزله من خلالها، حتى إن لم تكن هذه الخصال من طبعه؛ عليه أن يتخلّق بهذه الأخلاق رغماً عنه، وإلا سيفسد بيئة أسرته. (فلا بد لك، في النهاية، حين تصبح مسؤولاً عن أسرة من الالتزام بهذه الخصائص حتى إن لم تكن جزءاً من طباعك). أما الخصلة الأولى فهي: «مُعَاشِرَةً جَمِيلَةً»، أي عليك بحُسن المعاملة؛ فهذه الخصلة مهمة جداً في الأسرة. والخصلة الثانية هي: «وَسَعَةً بِتَقْدِيرٍ»، أي لا يقترّ الرجل على عياله، لكن ينفق الأموال وفق منهجة معينة. فالتقدير يعني أن يُنفق بقدر؛ فلا يبدّر أمواله عبثاً، ولا يضيّق على عياله أيضاً. أما الخصلة الثالثة فهي: «وَعَيْرَةً بِتَخَصُّنٍ»؛ فينبغي أن يشعر الرجل بالعيرة والمسؤولية تجاه عياله وأسرته، وأن يُظهر هذا الشعور بالمسؤولية في تعامله. ينبغي أن يتّصف الرجل بهذه الصفات الثلاث ولا يركن إلى التكاثر والتقاوس والخصال السيئة الأخرى.

بحسب الرواية، إن عاتبت ولدك الشاب فلا تقس عليه، ودعه يُقدّم عذره إن أراد

وفيما يتعلق بإدارة الأسرة وتربية الأولاد، ورد في رواية أخرى عن أمير المؤمنين (ع): «إِذَا عَاتَبْتَ الْحَدِيثَ فَاتْرُكْ لَهُ مَوْضِعاً مِنْ ذَنْبِهِ»، أي إذا عاتبت الفتى فلا تقس عليه، واسمح له أن يُقدّم لك الأعذار إن أراد ذلك (كأن يقول مثلاً: كلا، هكذا جرت الأمور على أية حال و...، فتقول أنت: حسناً، قبلت عذرك). لا تتعامل معه بحيث يشعر أنك تنتمر عليه، فيُنْفَس فجأة عن هذا الضغط في موضع آخر: «لِئَلَّا يَحْمِلَهُ الْإِخْرَاجُ عَنِ الْمَكَابِرَةِ». يمارس البعض الضغوط على الطفل إلى درجة خنقه! فيأمره بالإكراه: «لا بد أن تُصلح نفسك...». وفي مثل هذه الحالة سيضطرب الطفل نفسياً، أو يتحول إلى كذاب، أو يُصاب بالعقد النفسية، أو يكتب، أو يُبتلى بعقدة الحقارة،... الخ. كل هذا يدل على ضرورة العقلانية والشمولية في إدارة الأسرة. والسؤال المطروح هنا هو: «ماذا عساي أن أفعل الآن؟ هل أتشدّد أو أتساهل [مع أعضاء أسرتي]؟» في الحقيقة لا يستطيع أي فقيه تقريباً أن يجيبك على هذا السؤال! فأنت من يجب أن يكتسب عقلية الإدارة، ويتمتع بقدرة التخطيط والمنهجية؛ هذه هي الملاحظة المهمة.

ينبغي أن يكون المدير عاقلاً. لكن ما معنى العقل؟ العقل هو أن تستطيع تمييز الأحسن من بين أمرين حسنين. وأن تُمَيِّزَ الأَسوأَ من بين أمرين سيئين. فقد جاء في رواية شريفة: «لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينَ» (ميزان الحكمة/ ح ١٣٦٠٢). هذا هو الفرق بين العقل والعلم.

عن الكاظم (ع): «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا عَاقِلًا»

نحن نتكلم عن ضرورة العقلانية في الإدارة، والإسلام أيضاً لا يتوقع سوى العقلانية في الإدارة. ولو عرضتم هذا الكلام على المنصف من معارضي الثورة أيضاً سيقبل به. روي عن الإمام موسى بن جعفر (ع): «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا عَاقِلًا» (المحاسن/ ج ١/ ص ١٩٣). ثم يتابع الإمام (ع) قائلاً: «وَبَعْضُ النَّبِيِّينَ أَرْجَحُ مِنْ بَعْضٍ»، أي بعض النبيين كان أعقل من البعض الآخر. ثم يقول (ع): «وَمَا اسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ حَتَّى اخْتَبَرَ عَقْلَهُ وَاسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً». فالنبي داود (ع) استخلف سليمان (ع) بسبب غزارة عقله، إذ كان يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة فقط! لماذا؟ لأنه كان غزير العقل.

بناء على المعايير العقلية، هل يُعد "الاتفاق النووي" أمراً حسناً أو سيئاً؟

يُسَمُّونَا: «الكوادر المبدئية!» هذا ونحن لا نرمي إلى شيء سوى العقل! فلاحظوا مثلاً، هل يُعد الاتفاق النووي أمراً جيداً أو سيئاً حسب المعايير العقلية؟ إن كنا قد حَقَّقْنَا مَصَالِحَنَا بالاتفاق النووي فهو أمر حسن وجيد، وعلينا أن نستمر بمثل هذه الإجراءات، أما إذا لم نصل إلى نتيجة من هذا الاتفاق فالعقل يقول لنا أن لا نكرّر هذه الخطوة. فالقضية هنا ليست قضية مبادئ وقيم وروح ثورية وما إلى ذلك، بل هي العقلانية، وأن نرى هل حَقَّقْنَا مَصَالِحَنَا أم لا؟ وبالطبع يجب أن نأخذ «جميع مصلحتنا» بعين الاعتبار، لا أن نهتم بجزء بسيط منها، إلى درجة قول أحد السياسيين الغربيين: «أيُّ تَنَازَلَاتٍ تَعْهَدُ بِهَا الْقَوْمُ مِنْ أَجْلِ بَضْعِ طَائِرَاتٍ!»

علي (ع): أربعم أمور تُهدِّمُ الدولَ / المسؤول الذي يقيم الدنيا ولا يقعدُها من أجل إلغاء حفل موسيقي أكثر من حزنه على إغلاق المصانع هل يعد عاقلاً؟

هناك في رواياتنا الكثير عن الإدارة والتخطيط. على سبيل المثال روي عن أمير المؤمنين (ع): «يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدَّوْلِ بِأَرْبَعٍ: تَضْيِيعُ الْأُصُولِ، وَالْتِمَسُّكُ بِالْغُرُورِ...» (غرر الحكم/ ١٠٩٦٥). يرى الإمام علي (ع) أن أربعم أمور تقضي على الدول: أولها ترك الأهم من القضايا والاهتمام بالقضايا الفرعية.

للأسف لم يتألم بعض المسؤولين لأجل بعض القضايا المهمة كـ«إغلاق المصانع» كتألمهم على «إلغاء الحفلات الموسيقية»! حسناً، ألا يعد هذا التصرف حمقاً؟ بل لو عدّ الحفل الموسيقي من المستحبات وكان ثوابه أكثر من ثواب مآتم أبي عبد الله الحسين (ع) أيضاً، فالمسؤول الذي يتألم من أجل إلغاء الحفل الموسيقي بينما لا يأبه بإغلاق المصانع - والذي يتسبب في بطالة آلاف العُمَّال - فهو مخطئ! الملاحظة الأخرى التي يشير إليها أمير المؤمنين (ع) هي: «وَتَقْدِيمُ الْأَرَادِلِ، وَتَأْخِيرُ الْأَفْاضِلِ»، أي تقدّمون الدنيء والحقير من الأشخاص، وتؤخّرون ذوي الكفاءة

علي (ع): إذا جمعتم الضرائب أكثر من إعماركم البلاد فقد أضرتكم بالبلد

قال أمير المؤمنين (ع) في ما روي عنه في كتاب له لمالك الأشتر: «وَلْيَكُنْ نَظْرَكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ» (نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣). أي عليك أن تجعل همّك في إعمار البلد أكثر من اهتمامك بأخذ الضرائب، فإن البلاد إذا لم تعمّر لا يتمكن أحد من دفع الضريبة، وإنك إن جمعت الضرائب من الناس فستدمر البلاد أكثر من إعمارك إيّاها! عليك بالإعمار أولاً، ثم خذ الضرائب. يجب أن تركز همّك على الإعمار أكثر من تركيزك على جمع الضرائب. فإنك إن جمعت الضرائب أكثر من إعمارك البلد تكون قد أضرت به. وهل هذا الكلام سوى العقلانية؟! ثم يقول (ع): «وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً»، أي من يأخذ الضرائب من دون أن يعمّر منطقة أو يبعث ازدهاراً اقتصادياً فهو يهلك الشعب ولا يستطيع الاستمرار بالحكم طويلاً.

يمنع البعض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال الكبت النفسي والإعلامي

وهذه هي العقلانية بعينها! المهم هو أن لا يدوس المسؤول على «العقل والتجربة»، فلا يهّمنا إلى أي تيار سياسي ينتمي هذا المسؤول. لكن بعض السياسيين ووسائل الإعلام التي تحذو حذو الـ«بي بي سي»، ولأجل خلق حالة من الكبت النفسي، يلصقون التهم بأن «فلاناً» ينتمي إلى التيار الفلاني! أي إنهم، ومن خلال إلصاق وصمة التيارات السياسية بالمنتقدين، يعمدون إلى تكميم الأفواه نفسياً، وهو ما يؤدي إلى السكوت عن الحق، وطمس فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أنا أقول لبعض الأصدقاء: «لماذا لا تجهر بالكلام الحق الفلاني؟» فيجيب: «لأنني إن جهرتُ به أصبحت تيارياً! أي اتهمتُ بانتمائي إلى التيار السياسي الفلاني!» هكذا هو الوضع الراهن مع الأسف! أنا لا ألعن تاركي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ألعن الذين يحولون، من خلال الكبت النفسي والإعلامي، دون أداء هذه الفريضة!

صاحب الزمان (عج) سيخاطب أصحابه بكلام يشابه كلام الإمام الحسين (ع)!!..

لقد خرج أبو عبد الله الحسين (ع) لإقامة الحكم، لكن هذا الأمر لم يتحقق، فقال لأصحابه في ليلة العاشر من المحرم: «إني غداً أقتل وتقتلون كلكم معي، لا يبقى منكم واحد» (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات/ ج ٤/ ص ٥٣). فلم يبق منهم إلا أهل الكرم والمروءة والتضحية. وسيقول الإمام الحجة بن الحسن العسكري (عج) كلاماً مشابهاً لهذا الكلام لأصحابه، مع فرق بسيط. فالإمام (ع) لن يسمح لمن كان أدنى شأنًا من أصحاب الإمام الحسين (ع) أن يبقى معه، إذ إن الصعاب التي ينبغي أن يتحملها أصحاب ولي العصر (عج) لا تقل عن الشهادة؛ فهنا يجب أن تبذل سمعتك، وتنفق أموالك، وتتحمّل المشاق... إن ليلة عاشوراء هي ليلة أمانينا أيضاً. تصوّروا أنّ صاحب الزمان (عج) قد جمع أصحابه حوله وهو يخاطبهم: «من يريد الذهاب فليذهب، ومن يريد البقاء فليبق!» ولن يبقى مع الإمام (ع) سوى من كان مستعداً للموت بين يديه، هؤلاء فقط هم من سيبقى معه، وينصره! حين قصد الإمام الحسين (ع) الكوفة قام البعض بخلق أجواء جعلت الناس يقول بعضها لبعض: «الويل لنا! هذا الحسين قادم إلينا يريد إقامة حكم علي (ع) من جديد، فلنذهب لقتله!» وبالطبع كان هناك الخوف من جيش يزيد أيضاً، لكن انظروا كيف أربعوا الناس من الحكم العلوي للإمام الحسين (ع)، بحيث دبّ فيهم الهلع، وسحبوا أنفسهم، في حين كان معظمهم - من الناحية الأخلاقية - لا يرغبون في قتل الحسين (ع). هل تعلمون لماذا لا يظهر صاحب الزمان (عج)؟ لأنه يشبه أبا عبد الله الحسين (ع) حُلُقاً. كان أبو عبد الله (ع) يقول لأصحابه: «اذهبوا! فإن بقيتم معي ستقتلون!» وكأنّ صاحب الزمان (عج) يقول لنا اليوم أيضاً: «مارسوا أعمالكم فأنا لا أزعجكم، لنؤجّله [الظهور] إلى إشعار آخر، فقد اعتدتُ على هذه الغربة...» وإذا قال أحد: «سيدي! اسمح لي أن آتي لمساعدتك!» فسيجيب الإمام (ع): «هذا الأمر شاقٌ عليك، اذهب يا عزيزي فلا أريد أن تتأذى!» هذه هي أخلاقه وشيمه! فليرحل عنه كل من له شغل شاغل، ليرحل عنه كل من يفكر في نفسه... في هذه الليلة ستوقّع صكوك الشهادة للعشاق! فكل من يرغب في البقاء هذه الليلة في خيمة الإمام (ع) فلينتحب انتحاباً يجعله مقبولاً عند صاحب الزمان (عج). لأن إمام زمانك هو الذي يجب أن يقبلك اليوم! ثم قل: يا أبا عبد الله! لن أخرج الليلة من خيمتك حتى يكتب مهدي فاطمة (عج) اسمي في أسماء أصحابه...